

التفسير المختصر - سورة التوبه (٠٩) - الدرس (٥٠) : تفسير الآية ٥٠ ، المنافقين.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٤٠٨-١٩٩٤

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين وبعد:

الآية الخمسون من سورة التوبه وهي قوله تعالى:

﴿إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةً تَسُؤُهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةً يَقُولُوا قَدْ أَخْذَنَا أَمْرًا مِّنْ قَبْلٍ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾

(٥٠)

هذه الآية أيها الأخوة تصفوا المنافقين، عالمة المنافق؟ أنه إذا أصاب المؤمن خير، تألم، وإن أصابته مصيبة فرح، ويمكن لكل مؤمن، أن يقيس بإيمانه بهذه الآية، فهل إذا أصاب المؤمنين مكروه يفرح؟ أم هل إذا أصابهم خير يحزن؟

آية أخرى تؤكد هذه الآية وهي قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشْيِعَ الْفَاحِشَةَ فِي الدِّينِ أَمْتُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا﴾

(سورة النور: ١٩)

العذاب الأليم: لا على معصية ارتكبوها، بل على تمنياته.

﴿أَنْ تَشْيِعَ الْفَاحِشَةَ فِي الدِّينِ أَمْتُوا﴾

يعني أنت تعرف نفسك، لك أخ مؤمن، أصابه خير، نال مرتبه اشتري بيت، تزوج، أسس مشروع نال شهادة عالية، عالمة بإيمانك أن تفرح له، عالمة النفاق أن تتالم مقاييس دقيق جداً، ما في أخ إلا ما في حوله إخوان، أصدقاء، جيران مؤمنين طبعاً، فإن أصابهم الخير يجب أن تفرح، وكأن هذا المكرور قد أصابك ولذلك الله عز وجل قال:

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ﴾

(سورة البقرة: ١٨٨)

لم يقل ولا تأكلوا أموال إخوانكم، لأن الله عز وجل عدا المؤمنين أسرة واحدة، فمال أخيك مالك، من زاوية أن تحافظ عليه، وأن تتمنى نمائه، وأن تتالم إذا زال هذا المال، هذه الآية سقتها تمهد لليترين.

يقول الله سبحانه وتعالى في الآية السابعة والستين والثامنة والستين من سورة التوبه:

﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيهِمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٦٧) وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارًا جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسِبُهُمْ وَلَعَنُهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٦٨)﴾

ذكرت الآية الأولى من أجل أن تعرف من هو المنافق؟ المنافق هو الذي يفرح بمصيبةٍ قد نزلت للمؤمن، ويتألم لخَيْرِ أصاب المؤمن.

هل هناك أُمٌّ على وجه الأرض تتنى لأبنتها الشر؟ فإذا تمنت إذاً هذه ليست ابنتها، ليست ابنتها، ليست قضية تمني أو عدم تمني قضية موقع، بينما تمنى الشر للمؤمنين، فأنت في موقع المنافقين وحينما ترجو الخير للمؤمنين، فأنت معهم في خندق واحد. إذاً التمني والفرح له نتائج خطيرة.

﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾

دقوا في الآية الثانية:

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أُولَئِكُمْ بَعْضٍ﴾

فرقٌ كبير.

﴿بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾

من جنس عاطل واحد، لكن:

﴿بَعْضُهُمْ أُولَئِكُمْ بَعْضٍ﴾

ينصحون بعضهم بعضًا يحبون بعضهم بعضاً في ولایة، كل مؤمن يرى أنه ولی أخيه المؤمن ينصحه، يعاونه، بيستره، ينصره، يؤیده، يدافع عنه، يتعاون معه هي عالمة المؤمنين، المؤمنون بعضهم بعضٍ، نصحة متوادون ولو ابتعدت منازلهم، والمنافقون بعضهم بعضٍ، غششتون متحاسدون، ولو اقتربت منازلهم.

الآية دقيقة:

﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾

ما قال أولياء بعض، من جنس واحد عاطل.

﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيهِمْ﴾

بُخلاء.

﴿نَسُوا اللَّهَ﴾

الله عز وجل، لم ينسهم، لكن نسيانهم الله أنساهم أنفسهم، دقة الآية، نسيانهم الله، فاعل فنسفهم، نسيانهم الله جعلهم ينسون أنفسهم.

تعريف ثانٍ:

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٦٧)

بالآية الأولى، الذي يتمنى الشر لأخيه المؤمن منافق، الذي يتتألم للخير منافق.

الآن المنافق هنا هو الفاسق، والفاشق هو الذي خرج عن أمر الله.

﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾

(٥٠) سورة الكهف:

في منهج خرجت عنه، أمرت بغض البصر، أطلقت البصر فهذا فسق، أمرت بالكسب الحال، الكسب حرام، هذا فسق، أمرت بأداء الزكاة، لم تؤدي الزكاة فهذا فسق، الخروج عن منهج الله، الخروج عن أمر الله كما لو أن تمرة ناضجة جداً ضغطها فخرجت وبقية جلدتها بيدهك أيام في بعض الفواكه، تضغطها يخرج اللب من الجلد، هذا هو الفسق في أصل اللغة، خرج من أصله، خرج عن منهج الله.

﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَا عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ

﴿أَيْدِيهِمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٦٧) وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ

﴿وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسِيبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ (٦٨)

اسمعوا المؤمنين:

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلَيَاءُ بَعْضٍ﴾

في نصيحة، في محبة، في معاونة، في تضحية، في إيثار، في ود.

﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾

(سورة آل عمران: ١٠٤)

﴿وَيُقْيِمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾

في كل تفاصيل حياتهم، هي شاملة والباقي، في بقية شؤون الحياة يطيعون الله ورسوله، في كل شيء.

﴿أُولَئِكَ سَيِّرْ حَمْمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾

شوف كلمة:

﴿سَيِّرْ حَمْمُهُمُ﴾

الدقة في السين، سين استقبال، يعني إذا المؤمن الآن معذب شوي، مغلب، متضايق، أموره ليست على ما يرام، تكون في طور المعالجة، لكن إطمئن حالك أيها المؤمن.

﴿أُولَئِكَ سَيِّرْ حَمْمُهُمُ اللَّهُ﴾

سين للاستقبال.

﴿أُولَئِكَ سَيِّرْ حَمْمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٧١)

بالمقابل:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنٌ طَيِّبَةٌ فِي

﴿جَنَّاتٍ عَذْنٍ وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٧٢)

الآيتين مع بعضهن، وتعريف المنافقين، يأمر بالمنكر، ينهى عن المعروف، يمنع الخير، يتمنى للمؤمنين الشر، يتأمل إذا أصابهم خير، تعريفات القرآن الكريم، هذا منافق.

﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾

من جنس واحد، وعدهم الله نار جهنم، أما المؤمنون:

﴿بَعْضُهُمْ أُولِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيَطْبِعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَوْلَئِكَ سَيِّرْ حَمْمُهُمُ اللَّهُ﴾

أختتم الدرس بمثل، قد يقول قائل المؤمن يصيبه ما يصيب الناس، يعاني الأرمات نفسها، فain رحمة الله للمؤمن ؟ الآية هنا:

﴿سَيِّرْ حَمْمُهُمُ اللَّهُ﴾

ضربت مرة مثل، لو أن واحد دخله ١٨٠٠ ليرة في هذه الأيام، عنده خمس أولاد، بيته بالأجرة، عليه دعوة إخلاء، شو هذه الحياة هي، له عم يحكي بخمسين مليون، ما عنده أولاد مات بحادث، وكل هذا المبلغ، صار إليه بثانية واحدة، لكن حتى قبضه بعد سنة، براءة ذمة، وإخراج قيد، لماذا في هذا العام هو أسعد الناس ؟ ما قبض ليرة واحدة، ولا غير بيته، ولا حسن أكله، ولا غير ثيابه، لماذا هذا الإنسان الذي وعد بخمسين مليون ؟ بس حتماً وعد قطعي، بس قضية زمن، إجراء معاملات، وبراءة ذمة وروتين.

قال:

﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَا هُوَ عَدْنَا هَذَا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَعَاهُ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (٦١)﴾

(سورة القصص: ٦١)

﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَنَّاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَنَا تَعْقِلُونَ (٦٠)﴾

(سورة القصص: ٦٠)

إذاً:

﴿أَوْلَئِكَ سَيِّرْ حَمْمُهُمُ اللَّهُ﴾

يعني طول بالك.

الخير كله لك في المستقبل، والعاقبة للمؤمنين، والجنة فيها مala عين رأى ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، حال المؤمن مع الله في العناية المشددة، حال الكافر مرضه خبيث ما منه أمل، قال له كل ما شئت ما منه أمل كل ما شئت، أما يلي عنده التهاب معدة، الطبيب بقيم قيماته لو أكل أكلة خلاف الأصول، فإذا المؤمن في خير ضمن العناية المشددة، مقطوع الأمل منه يعطى الدنيا كما يشتهي.

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِرُوا بِهِ فَتَحَنَّا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخْذَنَاهُمْ بَعْتَدَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (٤٤)﴾

(سورة الأنعام: ٤٤)

احفظوا صفات المنافقين، واحفظوا هالآيتين المتقابلتين والواحد يراقب نفسه باستمرار، إذا كان أخوه الله أكرمه بأي شيء بمال، بمرتبة، بعلم بعمل، لازم يفرح، علامة إيمانه، إذا ما فرح بشتغل بحاله، معناها بينه وبين الإيمان مراحل فسيحة.

والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعود الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا وأكرمنا ولا تهنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم.

**والحمد لله رب العالمين**